
ساحر الكتب
قصة قصيرة
إسلام وهيب
الوحدة ٧٣١
تصميم غلاف: كريم وهيب



أريد أن أموت , هذا هو الأمل الوحيد المتبقي للهروب من ذلك المكان الموحش الذي تنازل عن نصيبه من الضمير والإنسانية , أريد أن تُقبض روحي قبل أن يأتي دوري وأتحول إلى فأر تجارب بين أيدي هؤلاء المجانين الذين لا يحترمون الإنسانية ولا يعيروا لها أي أهتمام , أريد أن أموت لأنني لم أعد أتحمل ذلك المكان اللذِع الذي يتلفعه الجور والأستبداد بطبقات من الظلم ويسكن الخوف الشديد كل ركن فيه , حالة من الفزع الشديد تحيط بي وتجعلني أرتاب من كل ما هو آتي لأنه بالتأكيد سيكون شيئًا خبيثًا فرحِم مثل ذلك المكان لن يُخرج سوى الآلم والشَجى المبين , منذُ أن تم أسري وأقتادوني عنوةً إلى هنا وأنا لا أسمع سوى الصراخ والعويل الذي لا يتوقف حتى أنه أصابني بأكتئاب حاد ولم أكن أملك سوى الصلاة التي أُطيل فيها قدر المستطاع لعلها تسكب على قلبي السلوان لكن يرتعد جسدي ويرتعش بغتًا حينما أُدرك أنني لست بمنأى عما يقترفون , فقط هي مسألة وقت وانتظار قاتل لا يرحمني , يرتجف قلبي ليل نهار وأنا أعلم أن قطار عمري سيتوقف هنا لا محالة إمّا بتجربة شنيعة تجرمها الإنسانية على يد هؤلاء المسعورين أو من كثرة الإنتظار البغيض الذي لا يخلو من الآلم النفسي الرهيب .

الأيام والأسابيع تتوالى على ساكنة كئيبة وأنا داخل زنزانتي الصغيرة ذات الرائحة العطنة والإضاءة الشاحبة في ذلك المكان الذي فيه الموت أصبح ناتجًا يوميًا , يحتجزوني داخل زنزانة ضيقة بالكاد أستطيع النوم على أرضها في وضع الجنين فمساحتها متناهية الصغر تجعل من التجول أمنية بعيدة المنال , زنزانة تملأ جدرانها رسائل مخيفة كُتبت بدماء



من سكنوها سلفًا , رسائل تحمل كمًا هائلاً من المعاناة والآلم الذي لا يوصف ولا يُحتمل , توقفت عن حصر الأيام والأسابيع التي أقضيها هنا فتاهت مني الأيام والشهور وأختلط كل شيء حتى أنني لم أعد أستطيع أن أجزم بأننا في غسق الليل أم في وسط النهار بعدما تجانسوا وصاروا شيئًا واحدًا بالنسبة لي ولباقي الأسرى الأحياء , فكيف لي أن أميز بينهم وزنزانتي تقع تحت سطح الأرض بأمتار فتعجز أشعة الشمس عن الوصول إلينا وكأنهم يرفضون أن يُنيروا حياتنا التي أنطفأ فيها كل شيء منذُ قدومنا إلى تلك الوحدة التي ادركت بسببها أننا نحيا في عالم لا يسيطر عليه سوى الجائرين , الزنزانة الرديئة مُزودة بباب معدني سميك بفتحة صغيرة يلقوا من خلالها زاد سيء كل حين فيخرسوا بها صراخ معدتي وليضمنوا بقائي حيًا حتى يتبين لهم التجربة الوحشية المناسبة لي , تقع الزنزانة في ردهة طويلة ذات إضاءة شاحبة تدعو للتوجس والخوف المقيت , ردهة ضيقة أرتصت على جانبيها الزنازين الموصدة بإحكام شديد يجعلني أشعر أننا نمثل لهم شيئاً أكثر بكثير من كوننا أسرى داخل تلك الوحدة التي لا يرتفع فيها سوى أعلام العذاب والقتل البشع , زودوا تلك الردهة بفتحة في السقف تصل عبر أنبوبة مفتوحة إلى غرفة الهلاك التي تشهد جدرانها أبشع التجارب الفتاكة التي تُجرمها الإنسانية .

الوحدة 731 تم تأسيسها عام 1932 على مساحة كبيرة , تحتوي على عدد كبير من المباني لا أعلم عددها ولم أتمكن حتى من رؤيتها , كلها معلومات أخبرني بها الأسرى الذين



سكنوا الزنازين المجاورة قبل العبث بهم وتشويههم , أخبرني ذات يومًا أحد اليابانين المغضوب عليهم وهو في زنزانتِه أنه تم تأسيس تلك الوحدة في البداية للوقاية من الأوبئة في عهد الأمبراطور الياباني هيرو هيتو ولكن في الحقيقة هو مختبر في غاية السرية يقوم بأبحاث سرية لتطوير أسلحة كميائية وبيلوجية محظورة وتُجرى التجارب في سرية تامة على البشر أو بمعنى أدق على الأسرى الذين وقعوا في أيدي الضباط اليابانين في الحرب اليابانية الصينية الثانية , تُدار هذة الوحدة تحت قيادة الضابط الطبيب شيرو إيشي ذلك السادي المجنون الذي تمكن من إقناع الإمبراطور الياباني بتلك الفكرة بحُجة أن الصين تقوم بعمل أسلحة بيلوجية حديثة لتُدمر بها اليابان , هذه هي المعلومات التي أخبرني بها ذلك الظابط الياباني الذي أرادوا أن يجعلوا منه عبرة لكل من تُسول له نفسه بعدم تنفيذ الأوامر فلقى حدفه بطريقة وحشية , بعدها أدركت أن كل شيء مُباح داخل هذه الوحدة من جرائم وتجارب مُحرمة دوليًا وإنسانيًا على يد ذلك السادي الذي حفر أسمه في كشوف مُجرمي الحرب الذي ينبغي محاكمته محاكمة عادلة ولكن هذا لن يحدث لأننا نحيا في زمنٍ أصبحت فيه الغلبة للقوة وليس للعدل واليابان تعيش الآن فترة مليئة بالتقدم التكنولوجي والعسكري فلماذا لا تقوم بفعل كل ما تريد على الصينين المستضعفين أمثالي , قامت اليابان بقصف كل المنشأت الحيوية في الصين فأضعفتها وجعلتها تسقط بسهولة , ذكريات سيئة قد عشتها بعد ذلك القصف الجوي الذي تعرضت له مدينتي ومات على أثره أخوتي , ذكرى سيئة تدفع دموعي للتساقط كلما تذكرتها , وكيف أنساها وهي لم تتركني لحظة واحدة حتى في أحلامي , كنت أجلس على ضفاف ذلك النهر الذي يطل عليه منزلي البسيط المصنوع من الخوص والقش , هذا هو إيوائنا أنا وأمي وأطفالي بعدما فقدنا منزلنا في ذلك القصف الغاشم وفقدت



أنا حبيبة عمري وزوجتي , يتصاعد صوت المروحية المرعب وهي تقطع الهواء و تقترب منا فتقذف في قلوبنا الرعب , أدركت وقتها وأنا جالس على جانب النهر أُحاول أصطياد شيئًا نأكله بأننا تحت وطأة غارة يابانية ستودي بحياة الجميع , هرعت إلى الكوخ لأجد أطفالي المزعورين في حضن أمي المُسنة , حملت أطفالي على كتفي ونظرت إلى أمي المتكومة على نفسها , أخبرتني بصوتها الذي يتضح بين ثناياه الخوف الشديد بأنها لن تتمكن من الفرار , طلبت مني أن أركض بعيدًا لعلي أنقذ الأطفال وأتركها هنا تلقى مصيرها المحتوم , لم أتمالك نفسي وقتها , لم أنتبه إلا وأناملها الخشنة تتحرك على مؤخرة رأسي وأقبل يدها التي ترسم تجعيدها سنين الشقاء الأبدي الذي تعيشه منذُ طفولتها , تساقطت دموعي رغمًا , خرجت من الكوخ أحمل أطفالي , أركض في طريقٍ مليء بالدماء والأشلاء المتناثرة , لم أركض سوى أمتار قليلة حتى قُذفت علينا قذيفة غاشمة أطاحت بي وبأطفالي لكن لم يُقدر لي الموت بعد , اصطدمت رأسي بالأرض وبدأت أغيب عني دون إرادة مني .

صرخات قد تكون الأعلى على الإطلاق , صرخات تنُمُ على أن صاحبها ربما يُحرق حيًا , تأتي من تلك الغرفة المغلقة القريبة من جسدي المُلقى على سرير طبي , جاهدت حتى جلست نصف جِلسة , الصراخ لا يتوقف بل يتصاعد بشكل جنوني بدأ يُصيبني بالتوتر الشديد , بصعوبة شديدة وضعت قدمي على الأرض , في البداية كنت سأسقط على الأرض بسبب خَدَر أطرافي لكن ذلك الصراخ الجنوني المتصاعد جعلني أتحامل على نفسي وأجاهد حتى وصلت إلى الباب , دفعته ببطء شديد لتتسع تلك الفرجة بين الدلفتين , أطلق لبصري العنان كي أرى ما يحدث بالداخل , أقشعر جسدي وأنتصب الشعر على مؤخرة عنقي , اتسعت عيني وتمنيت أن يكون ما يحدث أمامي حلمًا , لم أتخيل أن ما يحدث حقيقي , هناك



شاب فهمت من كلماته التي يلفظها بين الصرخات أنه صيني ينتمي إلى المنطقة الريفية التي لاتزال تستخدم بعض الكلمات القديمة , مقيد على طاولة خشبية , أطرافه مثبته بعناية فائقة , لا تترك الحبال أي مجال للحركة , هناك شخصان يستتران خلف ملابس بيضاء وعلى رأسهم وضعوا أقنعة بفتحة زجاجية تمكنهم من الرؤية , ينحنوا على ذلك الشاب ويقوموا بتشريحه حيًا !!!!!

بسرعة فائقة حاولت الهروب بعيني بعيدًا عن هذا المنظر البشع فصطدم جسدي بشيئًا خلفي , ألتفت سريعًا فوجدته الطبيب شيرو أيشي , علمت أسمه من تلك اللوحة المعدنية الصغيرة المحفور عليها أسمه ومثبته على زيه العسكري الذي كان يرتديه طوال الوقت , ابتسم لي ابتسامة صفراء تبدو كجنسه البارد .

- ماذا تفعل أيها الصيني الأحمق .
- لا شيء يا سيدي , لا شيء .
- لا شيء !! كيف وأنا وجدتك تحملق على ما يحدث داخل غرفة التشريح , من الواضح أنك صيني كاذب وهذا لا يروق لي .
- بحق بوذا أنا لم أفعل أي شيئًا مقصود يا سيدي , أنا فقط أردت أن أكتشف سبب ذلك الصراخ المتصاعد فقط .

ابتسم بسادية وعيناه تطلق شراراً لم أرى مثله على الإطلاق .



- أنتم أيها الصينيون مجرد ممتلكات خاصة للأمبراطورية اليابانية نعبث بكم كيفما نشاء , أنتم هنا فقط لأتم أنا دراستي عليكم شئتم أم أبيتم .

- أخبرني بحق بوذا ماذا يحدث مع هذا الشاب المسكين .

قهقه بسادية وحشية :

- هذا الشاب يقع عليه التجربة k101 وهي بأختصار شديد تشريحة حيًا دون حقنه بأي مخدر حتى لا يؤثر ذلك على النتائج ثم نقوم ببتر أحد أطرافه لنرى ردة فعل أعضاءه الداخلية عند فقد أحد الأطراف وكمية كبيرة من الدماء دفعة واحدة .

أرتعدت وأهتز جسدي رعبًا , تسارعت ضربات قلبي بشكل جنوني , لم أتوقع هذا الكم من الجنون والسادية , أردف الدكتور المخبول بلهجة باردة تتخللها صرخات ذلك المسكن .

- أخبرتك أنكم مجرد ممتلكات للتجارب .

أشار إلى أثنان أقتادوني إلى تلك الزنزانة التي أنا حبيس بها حتى الآن لا أخرج منها إلا لقضاء حاجتي مرتين فقط يوميًا , في الزنزانة المقابلة لي كان هناك شاب صيني وقع أسير معي في قسم التشريح ولكن قد سبق لهذا النحيف الذي تستطيع حصر ضلوعه المرور على أقسام أخرى داخل تلك الوحدة اللعينة قبل أن ينتهي به الحال هنا في أسوأ الأقسام وحشية , أخبرني ذات يوم وهو يُحاول أن يقضي على ساعات الآلم والأنتظار التي نعيشها أنهم أحضروه في البداية إلى قسم الأسلحة البيلوجية وهو قسم لا يقل سادية عن قسم التشريح لتسجيل البيانات الهامة , أقتادوه باللعنات والرفسات , زجوا به في زنزانة مشابهة لينتظر دوره , هناك كان الجميع ذو عظام وجه بارزة بسبب سوء التغذية الشديد الذي يعانون منه ,



كـان يـتم إصــابتهم بـبعض الأمـراض والأوبئـة كالطـاعون والكـوليرا والتيفـوس والملاريـا ليُسجلوا بيانـات تـأثر الجسم ووظائفه منذُ دخول تلك الأوبئة إلى الجسم البشـري , كـانوا يحقنون بعض الأسرى أيضًا بمرض الجُذام ليُسجلوا بيانات يومية دون علاج المُصـاب حتـى سقوط أطرافِه , أخبرنـي أن كل هذه الأعمال الوحشية تحدث في قسم واحد داخل سـور الوحدة 731 اليابانية .

- ماذا حدث لك ؟؟ وكيف نجوت من قسم الأسلحة البيلوجية وجئت إلى هنا .

سألته هذا السؤال فأجابني بعد أن أغمض عيناه أنهم أقتادوه بصحبة تسعة أخرين إلـى ساحة كبيرة مثبت بها أعمدة معدنية في الأرض , كانت أعينهم مليئة بالذعر والترقب الشديد لأنهم ببساطة يجهلون ما يحدث معهم ولا يُدرك أيًا منهم المصير البشع الذي ينتظره , أقتادوهم حتى وصلوا بهم إلى تلك الأعمدة , ثبتوا كل شخص في عمود منفصل بوضعية النسر المُحلق ثم غطوا الأماكن الحساسة من الجسم كالرأس والوجه والأعضاء التناسلية بقطع معدنية سميكة وتركوا الأذرع والأقدام عارية تمامًا حتى من الملابس , تركوها دون تغطية , ابتعدوا قليلاً وقد سهوا عن إحكام ربط الشخص المثبت على يمينِه , أدرك هو ذلك لكنه لم يفصح عنه , تركه لعله ينجى , فوجيء أن ذلك الشخص الغير مثبت قد فر هاربًا و, أرتفعت أصوات تصايح الجميع وعلا الصراخ وصفافير الإنذار مُحذرة الجميع لما يحدث , حاول ذلك المسكين أن يلوذ بالفرار فركض داخل الفناء الكبير المسَّيج بالأسلاك الشائكة , ننظر إليه وبداخلنا يقين أنه لن يستطيع النجاة حتى جاء ذلك الجندي وجثى على ركبته اليمنى , أنحنى على البندقية وأغمض عينه اليسرى ليترك العنان إلى اليمنى تلتقطُه عبر الناظور , ضغط على الزناد , أصابة مباشرة في الرأس أسقطته قتيلاً في الوقت الذي ظهر



فيه داخل الساحة الدكتور المخبول شيرو أيشي على أصوات الصفافير وسرينة الإنذار , قصوا عليه ما حدث فأحتدت قسمات وجهه الباردة وأمر بمعاقبة الشخص المجاور له بالتجربة k105 لأنه لم يُبلغ عنه حينما أرتخت الحبال وتمكن من الهرب , فكوا عنه اصفادِه وأقتادوه خارج الفناء , بعد مسافة ليست ببعيدة وجدهم يطلقون قذائف على هؤلاء المساكين بأشياء كروية شفافة تحتوي بداخلها على سائل غريب اللون بمجرد أن وصل إلى أطرافهم العارية أرتفع الصراخ وتراقصت أجسادهم كأنهم يحتضنوا كبل كهرباء عالي الفولت , أنها رقصة الآلم , أنها مادة حارقة يريدوا صنع قنابل منها فأطلقوها على هؤلاء وجلسوا لتسجيل البيانات .

أقتادوا ذلك المُعاقب ووضعوه في الزنزانة المقابلة لي , شاركنا ذلك النحيف في عقابه K105 فأصبحنا كلنا في أفلاكنا الباطنة نهيمُ ونفكر معه في تلك التجربة التي بكل تأكيد ستكون شنيعة كونها عقاب رادع , يوم وراء يوم وصديقنا الذي ينتظر عقابه يتقوس على ذاتِه حتى صار كالعرجون العتيق الهش الذي لا يصلح لأي شيء , ساءت حالته النفسية وهو يتجرع الأنتظار المرير كل يوم من ثدي الآلم علقم الطعم , يصلنا صرخات وأهات كفيلة بأن تقتلك قبل أن يصل دورك , الغريب أيضًا أن من يأخذوه من الزنزانة لا يعود إليها , تنتقل روحه إلى بارئها بعد أن يذيقه العذاب المُهين لكن هذا لم يحدث مع ذلك النحيف الذي يجلس في الزنزانة المقابلة لي .



أرتفع وقع الأقدام تدريجيًا وهم يقتربون منا بالتأكيد ملائكة العذاب الزبانية في زي عسكري ياباني , أقتربوا حتى ظهروا في مجال رؤيتي , ثلاثة عساكر وبصحبتهم ظابط يحمل سلاح والدكتور المخبول شيرو أيشي , هذه هي المرة الأولى التي أجدُه ينزل بنفسِه إلى الزنازين التي تحتاج إلى هبوط عدد من درجات السلالم , تحركت عين الضابط ناحيتي ووجهه ثابتًا فقط كان يُحرك عيناه كالحرباء في كل مكان , فتحوا الزنزانة وأقتادوا ذلك النحيف وهو يستعطفهم بصوتٍ لين ينُمُ عن الأعياء مُحاولاً الأفلات منهم لكنه وقع تحت مطر الضربات التي أنهكتُه نهائيًا وجعلته كالخرقة البالية بين أيديهم , سحبوه جرًا على الأرض من ملابسه الشبه بالية , ألتف شيرو أيشي ناحيتي وسدد لي نظرة وعيد قبل أن يتركني ويمضي , أنا لا أجد سببًا يجعله يمقت شعب الصين هكذا .

تركوني أتقلب على سنابك البؤس والقلق وصراخ ذلك المسكين يصل إليا فيرعبُني ويرج كياني , قضيت الساعات كلها مُسَّهدًا لا أستطيع النوم , أفكر في تلك التجربة التي يجريها اليابانيون المخابيل مع هذا الهزيل الذي لم يتوقف صراخه منذُ أن أقتادوه , أفكر فيما يفعلوه , لا أستطيع أن أصل بخيالي إلى ما هو أبشع من تشريح إنسان حيًا !! هل سنعود إلى عصور الظلام حيث محاكم التفتيش في أوروبا , لا محاكم التفتيش كانت بردًا وسلامًا إذا قُرنت بأفكار اليابانيين الأبالسة التي لا أعلم من أين أستمدوها , الصراخ يقترب شيئًا فشيء حتى أنه أصبح قريب جدًا , هل هذا النحيف سيعود إلى زنزانتِه , وقع أقدام تتابع الخطى المتلاحقة , ظللتُ أتحَّين الفرصة لستجلاء الأمر حتى ظهر في مجال رؤيتي أربعة أفراد يرتدون ملابس بيضاء تغطي أجسادهم ووجودهم بالكامل , يحملون ذلك النحيف على



نقالة كتلك التي يحملون عليها مصابين الحرب , أصتدمت عيني بذلك النحيف الذي تحول إلى مسخ يخرج من فيلم رعب , يا لفظاعة المنظر الذي تنفطر لرؤيته الأكباد , تعالت الصرخات من حبائس بعض الزنازين المجاورة على أثر ذلك الناتج الرهيب من التجربة القاسية K105 , بتروا هؤلاء المجانين ذراع النحيف الأيمن وبتروا قدمه اليمنى وهو حي دون تخذير بالتاكيد لأن الصراخ لم يتوقف ثم قاموا بحياكة الجلد لتركيب قدمه مكان ذراعه بجوار كتفه والعكس مع ركبته , بالتاكيد أرادوا تسجيل النتائج هل يجوز فعل ذلك وما تأثيره على الجسد البشري , ضحية جديدة لن تتوقف عن الصراخ , زجوا به إلى داخل الزنزانة وأغلقوها وأنطلقوا , ظل ذلك المسكين يصرخ من الآلم حتى مات , كانوا يترددون عليه كل ساعتين تقريبًا لتسجيل بعض النتائج .

مرت الأيام بطيئة على تلك الشاكلة المرعبة يأتي إلينا بعض الأسرى ويتناقصون واحد تلو الأخر وأنا أسمع صرخات الوداع الشنيعة التي وصلت إلى حد اللامحتمل , أصابني الأكتئاب الشديد حتى أنني أصبحت أطلب الموت يوميًا حتى أهرب من ذلك العذاب المتمثل في أنتظار دوري لأصرخ مثلهم وهم يقطعون أطرافي أو يهشمون جمجمتي ويتركوني حيًا أصرخ حتى الموت , كلها هواجس تقودني نحو الجنون الحتمي , أضربت نهائيًا عن الطعام لفترة زادت عن ثلاثة أيام لكني أكتشفت أنني أُعاني ما هو أكثر من الجوع بكثير , الأمر الغريب أنهم وضعوا لي المحاليل وأطعموني عنوةً لأنني أمثل لهم صيدًا سمينًا فبموتي سيخسر الدكتور تجربة هامة له .



أرتفع وقع أقدام الزبانية وهم يقتربون , توقفوا هذه المرة أمام زنزانتي , ضابط ياباني بصحبة العساكر وشخص أخر لا تعرف أنه من الأطباء لولا أنه يرتدي بلطو أبيض مُلطخ بزهق الأرواح , توقف الظابط أمام الباب مباشرةً وتحدث إلى ببرود شديد وبنبرة صوت مستفزة للغاية .

- أرى أنك حزين للغاية وتحتاج إلى ما يدخل السرور إلى قلبك أيها الصيني الدنيء .

سددت له نظرة قاسية قدر المستطاع وأنا أخبره أنه لا يوجد ما يُدخل السرور في هذا المكان الموحش الذي يعج بالمخابيل أمثاله , لم يهتز لعبارتي الجارحة بل أبتسم ابتسامة صفراء ثم أمر الجميع بإخراجي من الزنزانة , أقتادوني إلى ساحة خارج المبني , هذه هي المرة الأولى التي تلمس فيها أشعة الشمس جلدي منذُ فترة طويلة , طلب مني مساعدتهم في إتمام تجربة بشعة على مجموعة من الأسرى , الموقف صعب وأنا لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا , لن أستطيع الرفض , أنا مجبر على فعل ذلك لكن ما جعلني أتيبس مكاني أنني وجدت أن التجربة ستتم على مجموعة من الأطفال , أنتفض جسدي وارتعشت يدي رهبة وخيفة , روحي أرتجفت بشدة وخفق قلبي حينما وجدت بين هؤلاء الأطفال أولادي !!!!

في هذة اللحظة توقف الزمن !!